اللغة الصينية

عندما يتعلم الطفل أكثر من لغة، يصبح عقله أكثر مرونة، وتصبح مخارج حروفه أكثر دقة وتنوعًا، وتصبح مهارات الإنصات والحفظ والاسترجاع أقوى. عندما يكبر هذا الطفل يكون أكثر تفتحًا، ويكون أكثر تقبلًا للثقافات المختلفة، ويكون فهمه للتاريخ والحضارة أعمق ممن يتحدث لغة واحدة فقط.

هناك أيضًا عامل المستقبل، إجادة أكثر من لغة بجانب اللغة الأم يفتح أبواب العمل أمام الإنسان ويمنحه نعمة الاختيار. يختار مجال الدراسة وبلد الدراسة ولغة الدراسة ومجال العمل وطريقة العمل وغيرها من الاختيارات التي لن تتوفر لمن لا يتقن اللغات.

تختلف طرق تعليم الطفل للغات وفقًا لعمره، إذا كان الطفل أقل من ثلاث سنوات، الأمر لا يحتاج سوى وجود شخص يلعب مع الطفل ويحدثه بهذه اللغة. سيمتص عقل الطفل لغة واثنتين وثلاثًا وأربعًا بسهولة إذا كان يتعرض لهم من خلال الاحتكاك والتعامل مع شخص يتحدث هذه اللغة معه. هذا هو أسلوب الغمر.

إذا كان الطفل بين ثلاثة وستة أعوام سينجح أسلوب الغمر وقد يحتاج بعض المجهود

من الطفل في الترديد والحفظ والاسترجاع. في هذه الفترة يظل الطفل في مرحلة «العقل الماص» ولكنه العقل الماص الواعي الذي يدرك ما يتعلمه الطفل ويبذل مجهودًا ليتذكره.

إذا كان الطفل ما بين ستة وتسعة أعوام سيكون لديه الصبر والشغف والتركيز الكافي لتعلم اللغات لكنه لن يمتصها. يتعلم الطفل اللغات في هذه المرحلة بالمثابرة والمجهود والتكرار والترديد والاسترجاع. لن يكون الأمر سهلًا مثلما هو الحال لدى الطفل في مرحلة «العقل الماص».

إذا كان الطفل ما بين التاسعة والثانية عشرة سيكون الأمر أصعب على عقله ولسانه وسيحتاج وقتًا أكثر ومجهودًا أكبر ممن هم أقل منه سنًّا. أما بعد الثانية عشرة فسيصبح الأمر في نفس صعوبة تعليم البالغين لغة جديدة.

كل ما سبق من كلام ينطبق على الأطفال ذوي النمو النمطي «الطبيعي». أما «آدم»، فلم يكن قادرًا على تعلم حتى اللغة العربية، وهي لغته الأم، بالغمر. تأخر «آدم» كثيرًا حتى تكلم، وعندما بدأ يكون جملًا، كانت له صياغته الخاصة. إلى اليوم، تفتقد جمل «آدم» للصياغة السليمة. «عقله الماص» لا يمتص المفردات ونطقها ولا الجمل وتركيبها. ازداد الأمر تعقيدًا مع تعلم القراءة والكتابة، أرى حروفه المعكوسة وكأنه أمام مرآة ونطقه العجيب وتعثره وكأنني رأيت عفريتًا!

مهما تكرر الموقف، مهما رأيت من تعثر، ما زلت أنتفض صارخة كلما رأيت الحروف تنظر في عكس اتجاهها والأرقام على غير شكلها. تأكدت مع الوقت أن «آدم» لن يصل لمستوى الطلاقة في أي لغة، لا الإنجليزية ولا العربية. أردت أن أختار له لغة ثالثة تعطيه ميزة تنافسية في سوق العمل والحياة. هناك منافسة عالية في اللغة الفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية، ومهما تعلم، فلن يصل في مستوى طلاقة الآخرين.

بحثت عن أكثر اللغات المستخدمة عالميًّا بعد اللغة الإنجليزية ووجدت الإسبانية والألمانية ثم الصينية في أول القائمة. في مصر، الكثير من الطلبة يدرسون اللغة الفرنسية أو الألمانية ولكن قلة قليلة من المصريين يدرسون الصينية وأغلبهم من البالغين. بالنسبة لي، هذه فرصة لإمداد ابني بسلاح قد يفتح له باب الإرشاد أو الترجمة أو الكتابة أو الفن أو النقد أو الأدب

المقارن أو التجارة أو السلك الدبلوماسي أو الطب في المستقبل.

بدأ «آدم» يتعلم الصينية، وواجهت معه نفس المشكلات، تحديدًا النطق غير السليم والصعوبة في التذكر. لكن من جمال اللغة الصينية أن كلماتها حقًّا بسيطة وأصواتها خفيفة ولا يوجد بها صيغ للمؤنث والمذكر ولا تصريفات للأفعال. مع الوقت وكثرة إحباطاتي، قررت أن أبتعد وأترك «آدم» للمعلمة ويقتصر دوري على تسديد قيمة الدروس وتحميل الفيديوهات ليراجعها «آدم». قررت أن أرحم نفسي من عفريت الديسلكسيا، ولو قليلًا.

بدأت المعلمة تعلم «آدم» رموز اللغة الصينية ليتعلم القراءة. لم أتدخل. «يتعلم إللي يتعلمه»! هكذا كنت أقول لنفسي. مرت عدة أشهر وبالصدفة وجدت جزءًا من درس صيني مكتوب على سكايب. كان «آدم» بجانبي، فسألته إذا كان يفهم المكتوب. قال بثقة إنه يمكنه أن يقرأه لي. بدأ يقرأ الطلاسم بكل سلاسة ويسر! حضنته وهنأته وحمدت الله.

جلست أفكر طويلًا! هل من الممكن أن يكون عسر القراءة مختصًّا ببعض اللغات؟ هل من الممكن أن يكون «آدم» طفلًا طبيعيًّا في اللغة الصينية وطفلًا يواجه تحديات التعلم في العربية والإنجليزية؟ بدأت أبحث وصدق حدسي! الجزء المختص بقراءة الحروف الأبجدية في المخ غير الجزء المختص بقراءة الرموز الصينية أو اليابانية! عسر القراءة في اللغات التي تعتمد على الحروف الأبجدية سببه صعوبات فك شفرة صوت كل حرف ودمج الأصوات ثم نطق الكلمة. نفس الصعوبة عند الكتابة، لأنها تعتمد على تفكيك الكلمة إلى مقاطع صوتية وترجمة كل صوت إلى الحرف المختص به.

أما في اللغة الصينية، فهي تتكون من 3000 رمز. يتعلم الطفل كل رمز على حدة ويحفظ شكله. تتكون الجمل من عدة رموز جنب بعض، ولهذا قرأ «آدم» الطلاسم بكل سهولة ويسر. هو يعرف أن هذا الشكل يعني «أنا» وهذا الشكل يعني «عندي» وهذا الشكل يعني «قطة». عجيب هذا العقل البشري! «آدم» ينفر من قراءة المقاطع الكبيرة بالعربية أو الإنجليزية، يقول إنها مرهقة وأنه لا يحبها. أما اللغة الصينية، فتعتمد على حفظه لشكل الرموز وكل رمز يعبر عن كلمة لهذا وجدها أسهل. عسر القراءة في الصين يختلف في تعريفه وتفاصيله عن عسر القراءة في مصر!